لـهـا رُفْـقَـةٌ يُـسْـعِـدْنَـهَـا فـكـأَنَّـمـا
تَـعَـاطَـيْـنَ كَـأْسـاً بَـيْـنَـهُـنَّ تَـدُورُ(١)
بِـجِـزْعٍ مِـنَ الْـوادِي فَـضَـاءٌ مَـسِـيـلُـهُ
وَأَعْـلاهُ أَثْـلٌ نَـاعِـمٌ وسَـديـرُ(٢)
بـه بَـقَـرٌ لا يَـبْـرَحُ الـدَّهْـرَ سَـاكِـنـاً
وآخَـرُ وَحْـشِـيُّ الـسِّـخَـالِ يَـثُـورُ(٣)

٨٨
القاضي الجائر

[الطويل]

أَأَتْـرُكُ لَـيْـلَـى لَـيْـسَ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـهـا
سِـوَى لَـيْـلَـةٍ إِنِّـي إِذاً لَـصَـبُـورُ(٤)
هَـبُـونِـي امْـرَأً مِـنْـكُـمْ أَضَـلَّ بَـعِـيـرَهُ
لَـهُ ذِمَّـةٌ إِنَّ الـذِّمَـامَ كَـبِـيـرُ(٥)
ولَـلـصَّـاحِـبُ الْـمَـتْـرُوكُ أَعْـظَـمُ حُـرْمَـةً
عـلـى صـاحـبٍ مـن أَنْ يَـضِـلَّ بَـعِـيـرُ(٦)

= لحال الشاعر، فإذا به صوت شجيّ طرب، ليس فيه بحّة حزن، ولا صفير.

(١) ليست تلك الحمامة وحيدة بل ثمّة رفقة يشاركنها الفرح في جوقة وكأنهنّ يتعاطين المدام، كؤوسها تدور عليهنّ.

(٢) و (٣) يصف الشاعر لنا صورة حيّة لاجتماع أسراب الحمام، فهنّ يتخذن لهنّ مأوًى في منبسط من الأرض تغطيه الأعشاب وتعانق شجرات السدر السماء، ويتنقلْنَ حيث يشأن. وفي ذلك المكان ترعى بقرات أليفات وإلى جانبهنّ تتعايش معهنّ سِخال وعجول البقر الوحشي بهدوء وسكينة واطمئنان.

(٤) ورد البيت في: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع ١ : ٢٠٢، الدرر اللوامع ١ : ١٧١، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١ : ١٥١. أنتم تطلبون مني أن أتخلّى عن ليلى، وليست تبعد ديارها عنّي سوى مسير ليلة، ويستغرب الشاعر أنّه صابر على البعد رغم قرب المسافة.

(٥) و (٦) يحاول الشاعر أن يثير القوم بكرم الضيافة وحسن الجوار، فللجار على الجار =

عَـفـا الـلَّـهُ عـن لَـيْـلَـى فـإنَّـهـا
إذا وَلِـيَـتْ حُـكْـمـاً عَـلَـيَّ تَـجُـورُ(١)

٨٩
بشير طلاق

[الطويل]

دَعَـوْتُ إلٰـهـي دَعْـوَةً مـا جَـهِـلْـتُـهـا
وربّـي بِـمـا تُـخْـفـي الـصُّـدورُ بَـصـيـرُ(٢)
لَـئِـنْ كـان يُـهْـدي بَـرْدَ أَنـيـابِـهـا الـعـلا
لأَفـقـرَ مـنِّـي إنَّـنـي لَـفَـقـيـرُ(٣)
فـقَـدْ شـاعَـتِ الأَخْـبـارُ أَنْ قَـدْ تَـزَوَّجَـتْ
فَـهَـلْ يَـأْتِـيَـنِّـي بـالـطَّـلاقِ بَـشـيـرُ(٤)؟

٩٠
من نصيري

[الطويل]

أَلَا يـا غُـرابَ الـبَـيْـنِ لَـوْنُـكَ شـاحِـبٌ
وأَنـتَ بِـلَـوْعـاتِ الـفِـراقِ جَـديـرُ(٥)

= حقٌّ فرضته الحياة قوامه الحماية والمساعدة ومدّ يد العون. ولنفرض أنني أضعت بعيري في جواركم، فحمايته ورعايته فرض عليكم، ومن واجبي أن أعمل على إرجاع ما أملك بمساعدتكم.

(١) من واجب القاضي العدل ورفع الظلم؛ فحكم ليلى عليّ قاسٍ ظالم؛ فليغفر اللّه تعالى لها فعلتها في مقبل الأيام.

(٢) و (٣) يضرع الشاعر إلى الله تعالى فيدعوه أن يمنّ عليه ببرد ليلى فهو أشدّ فقراً من سائر الفقراء، دعاء خفياً في سرّه لا يعلمه إلّا الخالق العظيم.

(٤) تنامى إلى مسامع الشاعر أخبار، مفادها أن ليلى زُوِّجت؛ وهذا ما يحزنه، وما يُفرحه أن يسارع البشير فيطلعه على طلاقها من بعلها.

(٥) يخاطب الشاعر غراب البين شعار الشؤم بسواد لونه؛ فمن طبعه التفريق بين الأحبَّة.